

# Bible Study

## *The Epistle of St. Paul to the Philippians*

رسالة معلمنا بولس الرسول إلي أهل فيلبي

Fr. Jacob Nadian  
St. Bishoy Coptic Orthodox Church

## رسالة بولس الرسول إلي أهل فيلبي

الإصحاح الثالث: كيف افرح في الرب وأربح المسيح؟  
"أخيرًا يا إخوتي افرحوا في الرب، كتابة هذه الأمور إليكم ليست علي ثقلية،  
وأما لكم فهي مُؤمَّنة safe but for you it is safe [1]"  
- يكتب القديس بولس إلي أحبائه في فيلبي مطالبًا إياهم بالفرح في الخدمة.  
- والعجيب أنه يبعث رسالته وهو مقيد بالسلاسل، ويرسلها إلي كنيسة مع  
كونها أمينة (مُؤمَّنة) ومنتعشة لكن المتهودين يزجونها. فالمتاعب سواء من  
الخارج أو من الداخل لا تقدر أن تفقد المؤمن أو الخادم فرحه في الرب.  
- يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [أن القديس بولس هدا أهل فيلبي الذين  
كانوا في حالة كآبة شديدة. كانوا في قنوط، إذ لم يكونوا يعرفون كيف سارت  
الأمور معه. كانوا في كآبة إذ ظنوا أنها قد تفاقمت جدًا بالنسبة له، وبالنسبة  
للكرازة ولأبفروتس فطمأنهم قائلًا: "أخيرًا يا إخوتي افرحوا"، أي ليس لكم  
بعد علة للكآبة. معكم أبفروتس الذي حزنتم من أجله، ومعكم تيموثاوس، وأنا  
نفسي ساتي إليكم، والإنجيل في حالة تقدم. ماذا يعوزكم بعد؟ افرحوا!]

- "أخيراً يا إخوتي افرحوا في الرب": لأن مصدر الفرح ليس النجاح الظاهري، ولا الإمكانيات الخارجية، إنما "في الرب". ليس من حصن آمن للنفس البشرية أكثر من الفرح في الرب "وأما لكم فهي مؤمنة". ما أروع أن يكتب القديس بولس لهم عن الفرح وهو في شدة الضيق والألم، فالألم يلازمه الحزن، ولكن اجتماع الألم مع الفرح لا يتحقق إلا في الرب. افرحوا في الرب، وليس "حسب العالم"، فإن هذا ليس بفرح. لأن المتاعب التي بحسب المسيح تجلب فرحاً.

### ولكن كيف أفرح في الرب؟

- لأن الرب هو ضابط الكل، وهو محب البشر.
- لأن الرب يطمئنا أنه يهتم بكل أمورنا، ويهبنا كل شيء.
- لأن الرب يساعدنا أن نطرح تحت أقدام صليبه خطايانا وآثامنا وهمومنا، فيحملها عنا المصلوب برضا ولطف.
- لأن الرب ينصرنا وينقذنا من أعدائنا الخفيين والظاهرين، ويحول الشر إلى خير، والضيقات إلى بركات.
- لأن الرب يهبنا القوة في جهادنا الروحي.
- لأن الرب ينير ظلمتنا.

"انظروا الكلاب، انظروا فعلة الشر، انظروا القطع. لأننا نحن الختان الذين نعبد الله بالروح، ونفتخر في المسيح يسوع، ولا نتكل على الجسد" [2 - 3]

- يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: ["انظروا الكلاب": كان اليهود يدعون الأمم بالكلاب، وهنا قلب القديس بولس الصورة حتى أنه يضع نفسه في مصاف الأمم ويشبه المتهودين بالكلاب. لماذا يدعو المطالبين بالعودة إلى حرفية الناموس كطريق الخلاص بالكلاب؟ لأنهم عوض الكرازة بلغة الحب، واحتضان النفوس بأبوة روحية ينبحون كالكلاب بأصوات مزعجة للنفس، ومقلقة للجماعة ويؤذون البسطاء بأفواههم التي لا تكف عن أن تعض وتؤذي. بينما يطالب هؤلاء بحرفية الناموس لكي يتطهروا إذا بهم يتدنسوا كالكلاب (تثنية 23: 18؛ مزمور 59: 6، 14، 15؛ 2 بطرس 2: 22). إنهم يحملون عداوة لصليب المسيح، ينسبون له العجز عن المصالحة مع الله بدون حرفية الناموس. كان اليهود يدعون الأمم كلاباً (متي 23: 15)، لكن بعدم إيمانهم فقدوا سميتهم كإسرائيل الحقيقي، فصاروا أممًا، ونسب إليهم لقب الكلاب الذي دعوا به الأمم. لكن من هم الذين يلقبهم كلاباً؟ كان في ذلك الموضوع بعضاً ممن أشار إليهم في كل رسائله... اليهود... الأريدياء والمنحطين الذين يطمعون في الربح القبيح والمغرمين بالسلطة. هؤلاء كانوا يرغبون في جذب كثير من المؤمنين إليهم بالكرازة بخلط المسيحية مع اليهودية في نفس الوقت، مفسدين الإنجيل.]

- عوض قوله "الختان"، يقول: **"انظروا القطع"**. كان الختان علامة في الجسد على قبول العهد مع الله. وإذ رفضوا العهد الجديد، وبالتالي فقدوا سميتهم كإسرائيل الروحي، تحول ختانهم من علامة العهد مع الله إلى مجرد قطع في الجسم لا معنى له ولا قوة. وهو بهذا يكشف عن إساءتهم لمفهوم الختان، إذ جردوه من مفهومه الروحي وهدفه. صار قطعاً في الجسد، لا يختلف عن الممارسات الوثنية، الأمر الذي يمنعه الناموس (لاويين 21: 5).

- بينما يطالب المتهودون بالختان الجسدي، ليحسبوا من أهل الختان يصيرون أهل الغرلة روحياً، بينما إذ نمارس ختان الروح نصير نحن أهل الختان **"الذين نعبد الله بالروح، ونفتخر (نفرح) في المسيح يسوع، ولا نتكل على الجسد"**:

- لأن الختان الروحي الحقيقي هو العبادة لله بالروح لا الحرف القاتل حتى نتمتع بالشركة العميقة مع الله الذي هو روح وحياة. ليس معنى عبادة الله بالروح هو إبطال الطقوس والتدبير الروحي، إن كان يساعدنا على عبادتنا الروحية.

- فرح في الرب يسوع، إذ يهبنا فخراً واعتزازاً بالرب وصلبيه.

- عدم الاتكال على الجسد: فمع تدبير حياتنا الروحية، لكن خلاصنا يقوم على عمل الروح. فلا يكون الدافع لعبادتنا هو إرضاء ذواتنا.

**"مع أن لي أن أتكل على الجسد أيضاً، إن ظن واحد آخر أن يتكل على الجسد، فأنا بالأولى. من جهة الختان مختون في اليوم الثامن، من جنس إسرائيل من سبط بنيامين، عبراني من العبرانيين، من جهة الناموس فريسي. من جهة الغيرة مضطهد الكنيسة، من جهة البر الذي في الناموس بلا لوم" [4 - 6]**

- يذكر القديس بولس سبع امتيازات له: (1) مختون في اليوم الثامن: وهذا إثبات إنه ولد في اليهودية، وليس دخيلاً عليها. (2) من جنس إسرائيل لأن الديانة اليهودية أسسها الله على جبل سيناء. (3) من سبط بنيامين: بنيامين الابن الوحيد ليعقوب الذي ولد في أرض الموعد من زوجته المحبوبة راحيل، وهو آخر أبناء يعقوب. (4) عبراني: هناك فرق بين الإسرائيلي والعبراني: الإسرائيلي هو إنسان يهودي نال الختان، وليس بالضرورة أن يجيد اللغة العبرية، أما العبراني فيجيد اللغة العبرية كما يعني أن أجداده لم يختلطوا مع الأمم في الزواج كما فعل كثيرون من اليهود الآخرين الذين نزحوا من الأمم. (5) فريسي: أي المفرز والمخصص والمكرس لله. وإنه من الذين يعتنون بممارسة الطقوس والفرائض الدينية. (6) مضطهد الكنيسة: كان شاول غيورًا جداً على ديانته، فلم يطق أن يرى أحداً خارج الحضيرة اليهودية. (7) من جهة برّ الناموس كان بلا لوم حيث تم كل مطالب الناموس من وصايا وتقليدات.

"لكن ما كان لي ربحًا، فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة. بل إنني أحسب كل شيء أيضًا خسارة، من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي، الذي من أجله خسرت كل الأشياء، وأنا أحسبها نفاية لكي أربح المسيح"

### [7 - 8]

- إنه يسأل إن كنت من جهة نقاوة سلالتي وغيرتي وعاداتي وطريقة حياتي قد فقت الكل، فلماذا أرفض كل هذه الكرامات إلا لأني وجدت أن أمور المسيح أفضل، وأفضل جدًّا؟ ونلاحظ أنه لم يقل "الناموس خسارة" بل "حسبته خسارة". ولكن عندما تحدث عن الربح لم يقل: "حسبته" بل قال: "كان لي ربحًا" ... هذا هو حال الناموس، فقد رفعنا إلى فوق، فكان لنا ربحًا، أما بالنسبة للمستقبل فحسبناه خسارة. كيف؟ ليس لأنه هو خسارة، وإنما لأن النعمة أعظم. - إذ التقى بالرب ورآه وفتح قلبه لسكناه، سقطت كل هذه الامتيازات كنفاية لا تستحق أن يشغل فكره بها. هذه النفاية لا يليق بالمؤمن أن يحتفظ بها، بل يلقيها خارجًا لتلهو بها الكلاب الضالة. ما كان يعتز به قبلاً صارت نفسه تمقته ليعتز بعار الصليب، وفقر السيد المسيح، وذبيحته الفريدة القادرة أن تفتح أبواب السماء ليدخل كل مؤمن ويستقر في الأحضان الإلهية في مجد أبدي.

"وأوجد فيه، وليس لي بري الذي من الناموس، بل الذي بإيمان المسيح، البر الذي من الله بالإيمان. لأعرفه، وقوة قيامته، وشركة آلامه، متشبهًا بموته. لعلي أبلغ إلى قيامة الأموات" [9 - 11]

- "لكي أربح المسيح وأوجد فيه" [8-9] أي اتحد به. بقوله: "أوجد فيه" يكشف أنه كان ضالًا لم يكن له مكان لراحته واستقراره، فوجده الرب يسوع ودخل به كما إلى أحشاء محبته ليستقر في بيته في أمان. فحين كان يظن أنه بار بحسب الناموس كان بالحقيقة تائهاً وضالًا، وإذ تمتع بالإيمان صار في السيد المسيح مستقرًا ومختفيًا يرتدي بره برأ له. هذا هو الإيمان بالسيد المسيح كعطية إلهية. - وضع القيامة قبل الآلام، لماذا؟ لأنه عاين السيد المسيح القائم أولًا في حياته ثم دخل إلى حلبة الآلام. أعلن له السيد المسيح عن أمجاد قيامته أولًا، ثم أخبر حنانيا عن آلام القديس بولس. لا يوجد فاصل بين لأعرفه وقوة قيامته لأن أهم شيء في معرفة السيد المسيح هي قوة قيامته التي كانت لأجلنا نحن وليس لأجله.

- "شركة آلامه": القديس بولس المتألم في سجنه وقيوده وهو بريء يعرف أن آلامه هذه ما هي إلا شركة مع السيد المسيح المتألم. "قيامته الأموات" التي يقصدها هنا هي القيامة الواحدة الوحيدة العامة الشاملة لجميع الأموات، الأبرار والأشرار، وهي تتم في لحظة واحدة يعقبها الجزاء والعقاب.

**"ليس إنني قد نلت أو صرت كاملاً، ولكنني أسعى لعلّي أدرك الذي لأجله أدركني أيضاً المسيح يسوع. أيها الإخوة أنا لست أحسب نفسي أنني قد أدركت، ولكنني أفعل شيئاً واحداً، إذ أنا أنسى ما هو وراء، وامتد إلى ما هو قدام" [12 - 13]**

- "لعلّي" التي استخدمها الرسول لا يقصد منها الشك في أمر قيامته، لكنه يقصد بها صعوبة الوصول إلى هذا الأمر. إنه يحتاج إلى جهاد العمر كله.

- "أسعى لعلّي أدرك" لم ينل بعد الرسول المكافأة، ولا تمتع بعد بكمال المجد، ولا أنهى بعد سباقه، لكن ما يسنده أن السيد المسيح هو العامل فيه بنعمته. يبدأ معه، ويسير معه في طريق جهاده، ويكون هو غايته. فالزمن مقصر، والجهاد طويل، لكن الإمكانيات التي له جبارة وقديرة، لأنها إمكانيات عمل الله فيه. إنه تعبير واضح وقوي عن حياة الجهاد "الذي لأجله أدركني أيضاً المسيح يسوع". لقد أدركه السيد المسيح في وقت اضطره له في شخص أولاده. وعندما أدركه، هرب النسر من داخله وفر الكبرياء عنه واختفى الحقد.

- مع عظمة ما ناله، لكن بمقارنته بما يعده له الرب من أمجاد يحسب كل ما ناله كلا شيء. ففي كل يوم يتمتع ببركات كأنها جديدة، فيصرخ: **"هوذا الكل قد صار جديداً"**. ينسى الماضي لأنه مشغول بحاضرٍ مجيد، إن قورن بما يناله غداً يصير في نظره كلا شيء. إنه في سباق دائم بروح الرجاء المفرح في الرب.

**"أسعى نحو الغرض، لأجل جعالة دعوة الله الغلبا في المسيح يسوع. فليفتكر هذا جميع الكاملين منّا، وإن افترتم شيئاً بخلافه، فالله سيعطن لكم هذا أيضاً. وأمّا ما قد أدركناه فلننسلك بحسب ذلك القانون عينه، ونفتكر ذلك عينه" [14 - 16]**

- يرى الغرض بكل وضوح، وتوجد أمامه علامة في سباقه لا تتحرف عيناً قلبه عنها. فمن أجل مكافأة دعوة الله له في المسيح يسوع لا يمكن للأحداث الزمنية بمهاجها أو أحزانها ولا الأرض بكل جمالها ومتاعبها أن تسحب قلب الرسول عن السماء، إذ ينعم بعربونها داخله، وهو يجري مع كل نسمة من نسّمات عمره ويحمل معه كثيرين في الرب، ليجد الكل موضعاً في المسكن الأبدي. **"فليفتكر هذا"**... ذكرت في الرسالة نحو عشر مرات، وعدد عشرة يعبر عن الكمال وأيضاً المسئولية. مسئوليتنا أن يكون لنا الفكر الصحيح، فكر المسيح. **"جميع الكاملين فينا"** أي الناضجون روحياً، الذين يجتهدون لكي يصلوا إلى حياة الكمال، وقد تعدوا مرحلة الطفولة الروحية. **"وإن افترتم شيئاً بخلافه"** لو انشغلتم بأمور أخرى ليست شريرة ولكنها تعطلكم في السباق الروحي، فماذا يكون الحل؟ **"فالله سيعطن لكم هذا"**: فإن الله سيعطن لكم الحق بروحه الساكن فيكم. **"فلننسلك بحسب ذلك القانون"**، أي لنسير جميعاً في درب الملكوت في صفوف منتظمة يحكمنا قاتون السلوك الروحي، قاتون الجهاد الروحي. **"ونفتكر ذلك عينه"**: نسير أيضاً بنفس الفكر حتى يكون لنا الفكر الواحد في الجهاد الروحي، كل حسب قامته، وكل حسب جهده.

"كونوا متمثلين بي معاً أيها الاخوة، ولاحظوا الذين يسيرون هكذا كما نحن عندكم قدوة. لأن كثيرين يسيرون ممن كنت أذكرهم لكم مراراً، والآن أذكرهم أيضاً باكياً، وهم أعداء صليب المسيح" [17 - 18]

- "كونوا متمثلين بي": نافسوا بعضكم بعضاً في الاقتداء بالقدوس بولس، لماذا؟ لأنه يود أن يوجه أنظارهم إلى المبادئ الروحية التي يركز بها، ولا سيما إن الإنجيل لم يكن قد كتب بعد، لذلك يضع الرسول أمامهم الأنجيل المعاشة المقروءة، متمثلة فيه هو والقادة الروحانيين. لأنه هو شخصياً يتمثل بالمسيح.

- "لاحظوا الذين يسلكون هكذا كما نحن": توجد أمور روحية يجب أن نلاحظها جيداً ونتأملها، وتوجد أمور جسدية يجب أن نغض النظر عنها. هذه تبني وتلك تهدم. وهنا غير بولس الحديث عن نفسه إلى الحديث عن المجموعة. العجيب أن السيد المسيح يعلن أن قطيعه صغير (لوقا 12: 32)، بينما المعظمون الكذبة كثيرون. هؤلاء يذكرهم الرسول باكياً بمرارة، حزنا على هلاكهم، وفي مرارة من أجل خداعهم للباطل.

"الذين نهايتهم الهلاك الذين إلههم بطنهم، ومجدهم في خزيهم، الذين يفتكرون في الأرضيات. فإن سيرتنا نحن هي في السماوات، التي منها أيضاً ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح" [19 - 20]

- "نهايتهم الهلاك": يحزن على هلاكهم الأبدي، وقد اتسموا بصفات خطيرة: "إلههم بطنهم": يقيمون من بطونهم آلهة يتعبدون لها، فلا يعيشون من أجل الأبدية، بل يشغلهم شبعهم ولذة الطعام. يفضلون شهوة الطعام على وصية الإنجيل، ويبحثون عن لذة المأكولات المختلفة ولا يشبعون، والمعتاد إن شيطان النهم يتبعه شيطان الزنا. "مجدهم في خزيهم": مفاهيمهم خاطئة، فيرون في خزيهم وعارهم مجداً. يبررون الشر ويفتخرون به، ويفعلون الخطية ويتباهون بها متناسين أن الخطية عار.

- "فإن سيرتنا" أو موطننا أو جنسيتنا هي في السماويات، فنحن على الأرض غرباء راحلون، فكيف نلتصق بالأرضيات؟ إن كانت الجنسية الرومانية في ذلك الحين لها تقديرها وامتيازاتها الخاصة (أعمال 22: 28)، فكم تكون الجنسية السماوية. من حقوق المتمتع بهذه الجنسية أن عدو الخير لن يقدر أن يلحق بنا أو يتسلل إلينا.

"الذي سيغير شكل جسد تواضعنا، ليكون على صورة جسد مجده، بحسب عمل استطاعته أن يخضع لنفسه كل شيء" [21]

- "سيغير": هذا يذكرنا بجسد السيد المسيح الذي تغير على جبل طابور.  
- "جسد تواضعنا": المسيحية لا تحتقر الجسد بل كرمت الجسد جدًا، فبعد تجسد كلمة الله نال الجسد كرامة ما بعدها كرامة. الجسد شريك للروح في رحلة العمر والجهاد لذلك سيشاركها في المجد. لكن لماذا يدعو الإنجيل جسد تواضعنا؟ لأنه يتعرض للضعف والمرض والسقوط.

- "ليكون على صورة مجده": سيغير جسد تواضعنا ليصبح مثل جسد السيد المسيح بعد القيامة الذي خرج من القبر وهو مغلق. "بحسب عمل استطاعته": إنه يستطيع هذا فقد قام من بين الأموات بذاته وفي اليوم الأخير يقيمنا. - في حديث القديس هيلاري أسقف بواتييه عن الثالوث القدوس يشير إلى هذه العبارة: "يخضع لنفسه كل شيء"، موضحًا أنه يخضع العدو إبليس تحت قدميه، ويخضع الموت حيث يهب الخلود نازعًا سلطان الموت، كما يخضع الطبيعة البشرية فيبطلها لا ليفني الإنسان بل لكي ما تُبتلع طبيعته في طبيعة جديدة مجيدة.

